

الكشاف

" الأزواج " الأصناف " ما تركبون " أي تركبونه . فإن قلت : يقال : ركبوا الأنعام وركبوا في الفلك . وقد ذكر الجنسين فكيف قال ما تركبونه . قلت : غلب المتعدي بغير واسطة لقوته على المتعدي بواسطة فقل : تركبونه " على ظهوره " على ظهور ما تركبون وهو الفلك والأنعام . ومعنى ذكر نعمة الله عليهم : أن يذكرها في قلوبهم معترفين بها مستعظمين لها ثم يحمدا عليها بألسنتهم وهو ما يروي عن النبي A : أنه كان إذا وضع رجله في الركاب قال : " بسم الله " فإذا استوى على الدابة قال : " الحمد لله " على كل حال سبحان الذي سخر لنا هذا... إلى قوله لمنقلبون " وكبر ثلاثا وهلل ثلاثا . وقالوا : إذا ركب في السفينة قال : " بسم الله " مجراها ومرساها إن ربي لغفور رحيم " هود : 41 ، وعن الحسن بن علي Bهما أنه رأى رجلا يركب دابة فقال : سبحان الذي سخر لنا هذا . فقال : أبهذا أمرتم ؟ فقال : وبم أمرنا ؟ قال : أن تذكروا نعمة ربكم كان قد أغفل التحميد فنبهه عليه . وهذا من حسن مراعاتهم لآداب الله ومحافظتهم على دقيقتها وجليلها . جعلنا الله من المقتدين بهم والسائرين بسيرتهم فما أحسن بالعقل النظر في لطائف الصناعات فكيف بالنظر في لطائف الديانات ؟ " مقرنين " مطيقين . يقال : أقرن الشيء إذا أطاقه . قال ابن هرمة : . وأقرنت ما حملتني ولقلما ... يطاق احتمال الصد يا دعد والهجر . وحقيقة أقرنه : وجده قرينته وما يقرن به لأن الصعب لا يكون قرينة للضعيف . ألا ترى إلى قولهم في الضعيف : لا يقرن به الصعبة . وقرئ مقرنين والمعنى واحد . إن قلت : كيف اتصل بذلك قوله : " إنا إلى ربنا لمنقلبون " ؟ قلت : كم من راكب دابة عثرت به أو شملت أو تقحمت أو طاح من ظهرها فهلك وكم من راكبين في سفينة انكسرت بهم فغرقوا فلما كان الركوب مباشرة أمر مخطر واتصلا بسبب من أسباب التلف : كان من حق الراكب وقد اتصل بسبب من أسباب التلف أن لا ينسى عند اتصاله به يومه وأنه هالك لا محالة فمنقلب إلى الله غير منفلت من قضائه ولا يدع ذكر ذلك بقلبه ولسانه حتى يكون مستعدا للقاء الله بإصلاحه من نفسه والحذر من أن يكون ركوبه فلك من أسباب موته في علم الله وهو غافل عنه ويستعيز بالله من مقام من يقول لقرنائيه : تعالوا نتنزه على الخيل أو في بعض الزوارق فيركبون حاملين مع أنفسهم أواني الخمر والمعارف فلا يزالون يسقون حتى تميل طلاهم وهم على ظهور الدواب أو في بطون السفن وهي تجري بهم لا يذكرهم إلا الشيطان ولا يمثثلون إلا أوامره . وقد بلغني أن بعض السلاطين ركب وهو يشرب من بلد إلى بلد بينهما مسيرة شهر فلم يصح إلا بعدما اطمأنت به الدار فلم يشعر بمسيره ولا أحس به فكم بين فعل أولئك الراكبين وبين ما أمر الله به في هذه

الآية . وقيل : يذكرون عند الركوب ركوب الجنازة .

" وجعلوا له من عباده جزاءا إن الإنسان لكفور مبين أم أتخذ مما يخلق بنات وأصفاكم بالبنين وإذا بشر أحدكم بما ضرب للرحمن مثلا ظل وجهه مسودا وهو كظيم أو من ينشئوا في الحيلة وهو في الخصام غير مبين " .

" وجعلوا له من عباده جزاءا " متصل بقوله : " ولئن سألتهم " الزخرف : 9 ، أي : ولئن سألتهم عن خالق السموات والأرض ليعترفن به وقد جعلوا له مع ذلك الاعتراف من عباده جزاءا فوصفوه بصفات المخلوقين . ومعنى " من عباده جزاءا " أن قالوا الملائكة بنات الله فجعلوهم جزءا له وبعضا منه كما يكون الولد بضعة من والده وجزءا له . ومنبدع التفاسير : تفسير الجزء بالإناث وأدعاء أن الجزء في لغة العرب : اسم للإناث وما هو إلا كذب على العرب ووضع مستحدث منحول ولم يقنعهم ذلك حتى اشتقوا منه : أجزاء المرأة ثم صنعوا بيتا وبيتا : . إن أجزاء حرة يوما فلا عجب .

زوجتها من بنات الأوس مجزئة